الفصل العاشر

أبرز رواد التاريخ الحديث من الجامعيين

تحمل عبء تطوير الحركة التاريخية فى مصر اساتذة اعلام ، ومؤرخون ثقات كان لهم فضل الريادة والأستاذية المبرزة ، وستظل أسماؤهم مقرونة بأعمالهم فى خدمة النهضة التاريخية فى مصر ، كما ستظل مؤلفاتهم نبراسا يهتدى به من يأتى بعدهم ويكفى أن نذكر من هؤلاء : محمد شفيق غربال رائد الحركة التاريخية فى مصر ، وحسن عثمان المؤرخ الفنان الموئل بالادب الانسانى ، واحمد عزت عبد الكريم صاحب الينبوع الدافق من العلم والخلق والانسانية ، ومحمد أحمد أنيس صاحب الحس التاريخى المرهف الذى تخطى الحواجز ، وعالج العديد من الأمور التى كانت محظورة فى تاريخ مصر .

وفيما يلى نعرض لهؤلاء الأعلام .

الأستاذ محمد شفيق غربال

١٨٩٤ — ١٩٦١

ولد محمد شفيق غربال بمدينة الاسكندرية فى عام ١٨٩٤م ونشأ وتلقى تعليمه الابتدائى والثانوى فى مدارسها ثم اختار الالتحاق بمدرسة المعلمين الخديوية العليا بالقاهرة حيث وجد فيها — كما يذكر — المعهد الذى يصله بالدراسات الانسانية — وتخرج فيها عام ١٩١٥ ثم أوفدته الحكومة المصرية فى بعثة دراسية لدراسة التاريخ الحديث بجامعة ليفربول بانجلترا ابان الحرب العالمية الأولى .

ومع مداحة الخطر التى كان يتعرض لها العالم فى خلال هذه الفترة ، وعلى الرغم من مصاعب السفر خلال تلك الآونة فان غربال لم يتردد فى

الذهاب الى انجلترا ليواصل دراسته للتاريخ هناك[١] وقد استطاع أن يثبت مقدرته فحصل على درجة البكالوريوس بمرتبة الشرف فى عام ١٩١٩ وعاد الى مصر ليعمل مدرسا باحدى المدارس الثانوية بالاسكندرية لمدة ثلاث سنوات أوفد بعدها مرة اخرى الى انجلترا للدراسة للحصول على درجة الماجستير بجامعة لندن ثم بمعهد البحوث التاريخية التابع لهذه الجامعة ، وخلال ذلك التقى بالمؤرخ البريطانى الشهير « ارنولد توينبى » الذى كان يشرف على بحوث الدراسات العليا هناك ، ويذكر توينبى أنه منذ لقائه الأول به وجد فيه طالبا موهوبا وأنه تعلم من شفيق غربال أكثر مما علمه ، وأنه تنبأ أنه سيكون فى مستقبل حياته باحثا واستاذا ، كما تنبأ بمسلكه الاخلاقى الذى تميز به ، وبكونه موضوعى التفكير ، مستقلا فى الرأى ذا حزم وعزم فيما يتصل بالعمل الذى يتناوله[٢] .

ومن المعروف ان توينبى أشرف على رسالة غربال للماجستير التى حصل عليها فى عام ١٩٢٤ وكانت بعنوان

The beginning of the Egyptian Question and the Rise of Mehemet Ali .

وبعد أن عاد غربال الى مصر فى عام ١٩٢٥ عين مدرسا للتاريخ الحديث فى مدرسة المعلمين العليا ، وهناك بدأ فى تدريس تاريخ الحضارة الاسلامية والكتابة فى هذا المجال[٣] ثم نقل أستاذا مساعدا للتاريخ الحديث بكلية الآداب بالجامعة المصرية فى عام ١٩٢٩م ثم ما لبث أن رقى بها أستاذا للتاريخ الحديث فى عام ١٩٣٦ فكان بذلك أول مصرى يتولى هذا

---

(١) من كلمة الاستاذ محمد فريد أبو حديد فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى حفل تأبين الاستاذ محمد شفيق غربال .

(٢) انظر كلمة الاستاذ أرنولد توينبى فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة أثناء حفل تأبين الاستاذ غربال .

(٣) كتب غربال فصلا بالانجليزية عنوانه « الآراء والحركات فى التاريخ الاسلامى » .

Ideas, Movements in Islamic History .

ضمن كتاب منشور ظهر فى أمريكا فى عام ١٩٥٨ وعنوانه « الاسلام الدين القويم » .

المنصب بالجامعة خلفا للمؤرخ الانجليزى « جرانت » ، ومن هنا بدأ غربال يشق طريقا طويلا فى خدمة الدراسات التاريخية المصرية ، وفى نقل الاشراف على هذه الدراسات من يد القصر الملكى والمؤرخين الأجانب الى يد الجامعة مبدأ فى تكوين المدرسة التاريخية المصرية ، وتصدير الدراسات الخاصة بالتاريخ المصرى وخاصة بعد انشاء الدراسات العليا للماجستير والدكتوراه بالجامعة واشرافه وتوجيهه للبحوث التاريخية .

وقد تمكن غربال بفضل مقدرته العلمية ، ودقة ملاحظته وقوة تأثيره على طلابه ، أن تكون له الريادة الفكرية للمدرسة التاريخية فأقبل عليه تلاميذه بشغف ، وأخذ يمنحهم من علمه وفكره ما ينير لهم السبيل دون أن يضن على أحد منهم بما يعلمه أو يصد عن بابه طالب علم ، تدفع ذلك تلاميذه الى السعى للحاق به والسمو الى قرب قمته من طريق الحرص على الاجادة وتوخى الدقة[٤] ولم تقتصر جهود غربال فى الجامعة على الناحية العلمية بل تعدتها الى نواحى النشاط الاجتماعى حين سار وكيلا للاتحاد العام لطلاب الجامعة المصرية[٥] وبذلك كان لغربال فضل عظيم فى توجيه أجيال متعاقبة من تلاميذه الذين أخلصوا له الاجلال والتقدير وامتد فضله من طريقهم الى العديد من أبناء هذه الأمة[٦] .

أما عن الرسائل العلمية التى أشرف عليها غربال فهى متعددة وقد ارتبط جلها بالعصر العثمانى وعصر محمد على ويرجع ذلك الى أنه بسبب اهمال المؤرخين دراسة هذه الفترة فى ذلك الوقت دعا غربال طلابه الى الاهتمام بدراسة التاريخ العثمانى باعتباره مدخلا لدراسة التاريخ المصرى الحديث كما وجههم الى الاهتمام بدراسة تاريخ القرن التاسع عشر بصفة عامة وعصر محمد على بصفة خاصة خصوصا وان نبض الحياة المصرية

---

(٤) المجلة التاريخية المصرية ، المجلد التاسع عشر ١٩٧٢ مقال للدكتور أحمد عزت عبد الكريم تحت عنوان محمد شفيق غربال أستاذ جيل وصاحب مدرسة ص ٢٦ .

(٥) مذكرة مقدمة من كلية الآداب جامعة القاهرة بترشيح الأستاذ غربال لجائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٦٠ م .

(٦) أبو حديد : المقال السابق ص ١٥٤ — ١٥٥ .

قد اشتد فى ذلك العصر ، كما أن التطورات السريعة والمتلاحقة التى وقعت بمصر خلاله قد احدثت فيها ما يشبه الثورة فى كافة مناحى الحياة بها .

ونتيجة لذلك خرج على يد غربال العديد من الدراسات الأكاديمية فى هذه الموضوعات نذكر منها الدراستين اللتين قدمهما محمد رفعت رمضان ونال بهما درجتى الماجستير والدكتوراه وهما « ثورة على بك الكبير »(٧) و « مصر والدولة العثمانية دراسة تاريخية للعلاقات السياسية بين الطرفين من ١٨٤٠ — ١٨٦٣ » .

والدراسة التى قدمها حسن عثمان للماجستير تحت عنوان « فخر الدين بن معن الثانى أمير لبنان » .

والدراستين اللتين اعدهما أحمد الحتة للماجستير والدكتوراه « الفلاح المصرى فى عهد محمد على » و « تطور الزراعة المصرية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر » .

والدراستين اللتين قدمهما أحمد عزت عبد الكريم ونال بهما الماجستير والدكتوراه وهما « تاريخ التعليم فى عصر محمد على » و « تاريخ التعليم منذ أواخر عصر محمد على الى أوائل حكم توفيق » .

والدراسة التى اعدها أبو الفتوح رضوان للماجستير وعنوانها « تاريخ مطبعة بولاق » والدراسة التى قدمها محمد محمد توفيق للماجستير تحت

---

(٧) نشرت هذه الدراسة فى عام ١٩٥٠ ، وهى تعالج فترة غامضة من تاريخ مصر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، وتوضح انه فى عهد على بك الكبير أصبحت لمصر شخصية متميزة فلاول مرة فى العصر العثمانى الأول اتصلت مصر مباشرة بالسياسة الخارجية فنجح على بك فى عقد اتفاقات جمركية مع الانجليز ، كما حاول عقد معاهدات سياسية مع روسيا وجمهورية البندقية .

للتفاصيل انظر محمد رفعت رمضان : على بك الكبير ، القاهرة ، ١٩٥٠ ص ٢٣٢ .

عنوان « مصطلح وثائق تاريخ الحكم العثمانى [٨] فى مصر » والدراسة التى أعدها فائق جبرة للماجستير تحت عنوان « ضرائب الأطيان المصرية فى عهد محمد على » والدراسة التى قدمها أمين عفيفى للدكتوراه بعنوان « تجارة مصر فى عهد محمد على » .

والدراسة التى قدمها عياد دوس للماجستير بعنوان « الفتح المصرى للسودان فى عهد محمد على » والدراسة التى قدمها عبد العزيز الشناوى للماجستير تحت عنوان « السخرة فى حفر قناة السويس » .

ولغربال مؤلفات ليست بالكثيرة ولا بالضخمة ولكن ما كتبه يقترن دائما باسمه ومن هذه المؤلفات رسالته للماجستير بدايات المسألة المصرية وظهور محمد على

The Beginnings of the Egyptian Question and the Rise of Mehemet Ali

وقد كانت هذه الدراسة حدثا علميا استرعى انظار الأساتذة والباحثين وخاصة انها اتسمت باستقراء الأحداث والفحص العلمى والمقارنات والناحية التحليلية ، وكثرة المصادر والأسانيد كما اتسمت بالحياد فى تقويم الأشخاص والبعد عن التحامل والعواطف .

وقد استطاع غربال فى هذه الدراسة تناول التطورات السياسية فى مصر منذ الحملة الفرنسية حتى وصل محمد على الى الباشوية ، واثبت أن المسألة المصرية كانت جزءا هاما من المسألة الشرقية ، وانه لا يمكن فهم هذه المسألة الا اذا ربطنا بينها وبين ما كان يجرى فى الدولة العثمانية وأوربا وهى الطريقة التى سار عليها أستاذه توينبى فى مؤلفاته وهى انه

---

(٨) قدمت هذه الدراسة لنيل درجة الماجستير من كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول وأهم ما يميزها أن بها دراسة عن خط الفيرمة فضلا عن قاموس خاص بمصطلحات خاصة بالعصر العثمانى وللاسف لم يتم نشر هذه الرسالة حتى الآن .

(٩) لا تزال هذه الدراسة باللغة الانجليزية ولم تترجم الى العربية بعد .

لا يمكن للباحث أن يدرك كنه حقيقة تاريخ أمة من الأمم اذا هو قصر بحثه على تاريخ هذه الأمة واكتفى بتتبع الحوادث التى وقعت فيها وحدها خصوصا أن حوادث العالم متشابكة فلا تقع حادثة فى بلد من البلدان الا امتدت آثارها الى البلدان الأخرى بدرجات متفاوته قد تكون قوية أحيانا، وغير مؤثرة فى أحيان أخرى .

وتظل هذه الفترة بالذات محور اهتمام غربال ففى عام ١٩٣٢ كتب بحثا بعنوان « الجنرال يعقوب والفارس لاسكارس » أوضح فيه مشروع استقلال مصر الذى حمله معه « يعقوب حنا » بعد خروج الفرنسيين من مصر .

وفى الثلاثينات من هذا القرن نشر غربال دراسة تحت عنوان « مصر عند مفرق الطرق — رسالة حسين افندى الروزنامجى » وتشتمل هذه الدراسة على تحقيق مخطوط بعنوان « ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية كما شرحه حسين أفندى احد أفندية الروزنامة فى مصر العثمانية » وهو عبارة عن اسئلة موجهة من « المسيوستيف » مدير مالية مصر خلال الحملة الفرنسية الى حسين افندى حول أحوال مصر الادارية والمالية واجابات حسين أفندى عليها (١٠) .

وقد مهدت دراسة هذا المخطوط الطريق لكل من تصدى لتاريخ مصر بالدراسة ، واكدت أن شفيق غربال كان محققا من الطراز الاول ، كما اوضحت مدى فهم غربال الصادق لحقائق التاريخ المصرى ، وايمانه بدور مصر الحضارى .

ويستمر غربال فى دراسته عن هذه الفترة فيخرج كتابا بعنوان محمد

---

(١٠) انظر مجلة كلية الآداب : المجلد الرابع ج ١ ، مايو ١٩٣٦ ص ١ — ٧١ .

والجدير بالذكر أن الاستاذ الامريكى ستانفورد شو Stan Ford Shaw قد قام بنشر هذا المخطوط فى عام ١٩٦٤ تحت عنوان .
Ottoman Egypt in the Age of French Revolution .

على الكبير [١١] وفيه وصف للمناخ الذى كانت تعيشه مصر قبيل عصر محمد على ، ونجاح محمد على فى اقامة سلطة مركزية تجمع كل القوى المتصارعة فى اطار واحد ، وقيامه بحركات اصلاحية وعمرانية واسعة فى شتى المناحى حتى عادت مصر كما كانت مهدا للحضارة ، كما وصف الصفوة المثقفة التى أرسلها محمد على الى أوربا لدراسة العلوم الحديثة وعادت الى مصر لتطبيق العلم على العمل بأنها ساعدت فى النهوض بالزراعة والصناعة وبناء الجيش والأسطول وأخذت عبقريتها تدب فى جسم مصر وروحها كما تدب الخميرة فى العجين ، وأوضح أن ما قام به محمد على من اصلاحات فاق ما كان يقوم به الفرنسيون لو امتد حكمهم فى مصر ، ثم أرجع نجاح محمد على فى اصلاحاته وفشل السلطان العثمانى محمود الثانى فى الاصلاحات التى قام بها فى تركيا الى أن محمد على كان يعتمد على ثلاثة أسس وهى : القوة ، والعلم ، والمال فى حين اعتمد السلطان العثمانى على القوة العسكرية وحدها .

أما عن مساوىء السخرة والاحتكار وقصر المناصب العليا على الأرستقراطية العثمانية وغير ذلك فقد بررها غربال بأنه كان لابد من التضحية بجيل أوجيلين فى سبيل بناء حكومة قوية ومعمرة فى مصر .

وأما عن مواقف محمد على من السلطنة العثمانية فقد رأى غربال أن محمد على وهو قائد عثمانى مسلم كان لابد له من مساعدة الخليفة العثمانى على اصلاح دار الاسلام وعلى الاحتفاظ بها مصونة ضد غزوات أعداء الاسلام وأنه ظل على ايمانه بهذا الموقف حتى فقد الثقة بالسلطان بعد صلح كوتاهية فى عام ١٨٣٣ ، وبدأ يفكر فى الانفصال عن الدولة العثمانية ، واعلان استقلال ما يسمى « عربستان » أى البلاد العربية عنها ولكنه كان يتردد فى اتخاذ هذه الخطوة خشية ما يترتب عليها من المحاذير .

وعند تحليلنا لما كتبه غربال عن محمد على نجد أنه تأثر تأثيرا واضحا بأستاذه توينبى فى ايمانه بدور الصفوة المبدعة فى مجالات النشاط البشرى،

---

(١١) نشر ضمن سلسلة أعلام الاسلام فى عام ١٩٤٤ .

وبنظريته عن فكرة التحدي والاستجابة Challenge and Response، حين تطرق الى معالجة العلاقات بين الشرق والغرب .

والى جانب ذلك نجد للاستاذ غربال دراسة قيمة تحت عنوان « تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية » ، وهى عبارة عن بحث فى العلاقات المصرية البريطانية منذ الاحتلال سنة ١٨٨٢ الى معاهدة التحالف المصرية البريطانية فى عام ١٩٣٦ (١٢) وهو كما يرى صاحبه فى مقدمته « محاولة لتركيب صورة واضحة من الحوادث والوقائع والسياسات والخطط والبواعث والاغراض والأمانى والأحلام والشهوات التى توالت على مصر ، والتى يتكون منها تاريخ العلاقات بين مصر وانجلترة » .

ويلاحظ فى هذا الكتاب بصفة عامة انه بحث علمى مدعم بالوثائق والتحليلات العلمية البعيدة عن التحيز المعروضة بأسلوب مشوق جذاب . وفى فصول هذا الكتاب تعرض غربال للمفاوضات المصرية البريطانية بصفة عامة ، وبين كيفية نشأتها وكيف رضى الانجليز والمصريون على انها وسيلة لتحقيق الأمانى وصيانة المصالح ، وتعرض للاحداث التى سايرت المفاوضات ، وقدم وصفا موجزا للسياسة العامة للاحتلال تجاه المصريين ثم تطرق الى العلاقات المصرية البريطانية ابان الحرب العالمية الأولى بصورة مبدعة ووصف المبررات التى استندت اليها انجلترا كى تفرض حمايتها على مصر . وموقف الزعماء المصريين من ذلك ، كما تعرض المؤلف للتحفظات الأربعة التى صحبت انتهاء الحماية فى فبراير ١٩٢٢ ، وتوقف عند عقد معاهدة ١٩٣٦ .

ومع أن كتاب الأستاذ غربال يعتبر فريدا من نوعه من حيث الموضوع وطريقة عرضه وتدعيمه بالوثائق ، وكثرة التحليلات المدعمة بوجهات النظر المختلفة ، التى تؤكد فهم غربال الصادق لحقائق التاريخ المصرى يؤخذ على هذا الكتاب أن صاحبه لم يتعرض كثيرا للظروف الدولية العامة

---

(١٢) نشرته مكتبة النهضة المصرية فى مايو ١٩٥٢ اى قبيل ثورة يوليو بشهرين .

ذات التأثير المباشر فى العلاقات المصرية البريطانية ، وربما يكون قد اجل كتابه ذلك للجزء الثانى من الكتاب الذى كان يعتزم اصداره ولكنه لم يسر النور فقد توفى دون أن ينتهى من كتابته .

وعلى كل حال فان لهذه الدراسة مغزى مهما وهى انها كانت المحاولة الأولى من جانب غربال للكتابة فى القضايا المعاصرة والتعرض للحركة الوطنية المصرية بعد أن كان القرن التاسع عشر وحده يحتل مكان الصدارة من اهتماماته .

وبعد أن قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ القى غربال عشرة احاديث باللغة الانجليزية فى البرنامج الأوربى بالاذاعة المصرية فى عام ١٩٥٤ [١٣] عن « تكوين مصر » وفيها تحدث عن محبوبته ذات الأحرف الثلاثة وهى مصر فأوضح « أن مصر هبة المصريين » لا هبة النيل كما قال هيرودوت لأن النيل الذى تقع مصر على ضفتيه قد قطع آلاف الأميال قبل أن يصل الى مصر ومع ذلك فلا توجد غير مصر واحدة على طول مجراه أقامها المصريون بكدهم وعرقهم فهم الذين فلحوا الأرض وسقوها وزرعوها ، وهم الذين أقاموا السدود والعمران فى شتى أرجائها ، ولولا جهودهم هذه لتحولت مياه النيل الى مستنقعات وأماكن خربة تنتشر منها الملاريا والأوبئة ، ومن هنا فان البشر هم الذين صنعوا مصر ، وهؤلاء البشر الذين فعلوا ذلك هم المصريون .

كما اثبت غربال فى أحاديثه ايضا أن مصر مهد الحضارة التى تجمعت حولها كل الأحداث ، وان موجات الغزاة التى وفدت اليها لم تستطع أن تفت فى عضدها أو تؤثر فى شخصيتها .

ونظرا لأهمية هذه الاحاديث فقد جمعت فى كتاب صدر فى القاهرة باللغة الانجليزية فى عام ١٩٥٥ ثم ترجم الى العربية ونشرته وزارة الثقافة المصرية فى عام ١٩٥٧ ، كما ترجمته « كارمن رويث برافو » الباحثة بقسم

---

(١٣) اذيعت هذه الأحاديث بعد ذلك من محطات انجليزية وامريكية متعددة .

الدراسات السامية بكلية الآداب جامعة مدريد الى الاسبانية [١٤] .

أما عن آخر ما كتبه غربال فكان بعنوان « منهاج مفصل لدراسة العوامل التاريخية فى بناء الأمة العربية على ما هى عليه اليوم » وقد بين فيه العوامل التاريخية التى أثرت فى بناء الأمة العربية وحددها فيما يلى :

١ — الأثر العثمانى فى الأمة العربية .
٢ — الغزو الأوربى وأثره فى الأمة العربية .
٣ — التطور الداخلى للأمة العربية .

كما شرح ظروف وقوع العالم العربى تحت الحكم العثمانى والظروف التى أدت الى الغزو الأوربى للاقطار العربية .

والنتيجة التى خرج بها غربال من دراسته لهذا الموضوع هى ان عوامل التدافع والتصادم بين الأمة العربية والقوى الغازية لها انجلت عن ظهور النهضة العربية الحديثة .

والى جانب ذلك فان لغربال جهودا كبيرة فى مجال الترجمة من الانجليزية الى العربية وبخاصة فى مجال التوجيه والمراجعة والاشراف على نقل عدد من أمهات الكتب التاريخية اللازمة لتثقيف الجيل العربى وافادة الدارسين والباحثين [١٥] .

كما أن له العديد من البحوث والمقالات التاريخية المنشورة فى المجلات العلمية [١٦] ففى الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية [١٧] وفى تقديمه

---

(١٤) صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد ، المجلد الرابع عشر مدريد ، ١٩٦٧ — ١٩٦٨ ص ٧ — ٤٧ .

(١٥) مذكرة مقدمة من كلية الآداب بجامعة القاهرة بترشيح الأستاذ محمد شفيق غربال لجائزة الدولة التقديرية ١٩٦٠ .

(١٦) انظر على سبيل المثال مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية ، المجلد الثانى ، العدد الأول ، القاهرة ، مايو ١٩٣٤ دراسة بعنوان « أمير سورى فى ايطاليا » ص ٧٦ — ١١١ .

(١٧) انظر مادة (الترك) فى الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية .

لكتب تلاميذه واصدقائه وفضلا على ذلك فله عدد كبير من الأحاديث الاذاعية فى موضوعات تاريخية متنوعة منها موضوعات فى التاريخ الاسلامى ، وسلسلة اخرى عنوانها « العالم الاسلامى من المحيط الى الخليج لو جمعت فى صورة مدونات لكانت تراثا ضخما من المؤلفات .

وبعد أن تعرضنا لمؤلفات غربال يتضح لنا مدى قدرته وتمكنه من اصول فن التاريخ ، وادراكه لحقائق تاريخ بلده ، يضاف الى ذلك ان كتاباته تتحلى بالعمق ويتجلى فيها الموضوعية وعدم القاء الاحكام جزافا وانه وان كان قد تأثر بمدرسة توينبى كثيرا فانه لم يخضع فى كثير من الأحيان لفلسفة تاريخية معينة بل كان يأخذ من كل تفسير بقدر طبيعة الدراسة التى يتعرض لها والملابسات التى تحيط بها ، وحينما يتعرض لاحدى القضايا الشائكة التى تتعدد الآراء فيها ، كان معظم الأحيان لا يفرض على القارىء رايا بعينه بل كان يستشهد بآراء من تعرض لهذا الموضوع ليبحث القارىء معه عما هو أقرب من الموضوعية وأحيانا كان يبدى رأيه فى همس هادىء ابعد ما يكون عن التكلف ، واقرب الى اللمسات الفكهة الانسانية المهذبة .

وعلى كل حال لم تكن مؤلفات غربال ومصنفاته العلمية هى وحدها كل ما قدمه ، بل لعل أهمها تلاميذه الذين تشربوا ثمرات فكره ، ونبضات عقله فقد سأله يوما أحد الأجانب عن آخر مؤلفاته وكان فى مجلس العلم من تلاميذه فأشار اليهم قائلا هؤلاء هم كتبى (١٨) .

هذا عن غربال وجهوده المتعددة فى المجالات التاريخية أما عن أنشطته العلمية الأخرى والمناصب المتعددة التى تولاها فقد انتخب شفيق غربال وكيلا لكلية الآداب فعميدا لها فى مايو ١٩٣٩ م

وفى عام ١٩٤٠ نقل غربال من الجامعة الى وزارة المعارف ليبدأ مرحلة جديدة فى خدمة التربية والتعليم ، وهى خدمة وطنية جليلة ، وظل هناك

---

(١٨) المجلة التاريخية المصرية : مقال الدكتور عزت عبد الكريم سابق الذكر ص ٢٥ .

حتى ديسمبر ١٩٤٢ يعمل وكيلا مساعدا بالوزارة ثم عاد الى منصبه بالجامعة لادارة دفة المدرسة التاريخية .

وفى يناير ١٩٤٥ نقل الى وزارة المعارف مستشارا فنيا فوكيلا لها الى جانب تعيينه استاذا غير متفرغ بكلية الآداب فى فبراير ١٩٤٩ واتاح له ذلك الالتقاء بطلابه والاستمرار فى مدرسته التاريخية ثم نقل وكيلا لوزارة الشئون الاجتماعية لفترة أعيد بعدها الى وزارة التربية والتعليم حيث نهض بنصيب كبير فى أعمال لجان المناهج بالوزارة [١٩] .

وفى خلال عمل غربال بوزارة التربية كان له دور بارز فى حركة تيسير المقررات التاريخية بالمدارس ، كما كانت الكتب الدراسية التى اسهم فى وضعها بمثابة النواة التى اهتدى بضوئها الطلاب والكتاب من بعده [٢٠] .

والى جانب ذلك لمس غربال عن قرب مشكلات المجتمع المصرى والحياة المصرية بشكل عام .

وقد قدم غربال للدراسات التاريخية فى مصر خدمات اخرى جليلة تمثلت فى انشاء الجمعية المصرية للدراسات التاريخية والنهوض بها [٢١] وانشاء متحف الحضارة المصرى فى عام ١٩٤٩ وهو من أعظم مآثرنا العلمية، وكان المشرف على لجانه المختلفة يوجهها بآرائه وتحقيقاته . كما انه مثل الحكومة المصرية فى عدة مؤتمرات تاريخية فقد راس وفد مصر الى الجمعية العمومية لليونسكو فى عام ١٩٤٨ ، وانتخب عضوا بالمجلس التنفيذى لهذه الهيئة عدة سنوات فظل يمثل الشرق الأوسط لدى هذه المنظمة من عام ١٩٤٦ الى عام ١٩٥١ .

---

(١٩) ظل غربال بوزارة التربية الى أن أحيل الى التقاعد فى عام ١٩٥٤ بعد أن بلغ الستين .

(٢٠) المجلة التاريخية المصرية : المجلد الحادى عشر ، ١٩٦٣ ص ٧ كلمة الاستاذ محمد رفعت .

(٢١) للتفاصيل انظر كتابنا الجمعية المصرية للدراسات التاريخية دراسة تاريخية لمؤسسة علمية ، القاهرة ، ١٩٨٥ ص ١٤٧ — ١٥٢ .

ويضاف الى ذلك أن هيئة اليونسكو اختارته فى عام ١٩٥١ لعضوية لجنة من اثنى عشر مؤرخا من أبرز مؤرخى العالم ليكونوا مستشارين لها فى شئون تاريخ العالم وهو مشروع المؤلف الضخم الذى تكفلت به اليونسكو .

وبالاضافة الى ذلك كان غربال عضوا بمجمع اللغة العربية فى الفترة بين عام ١٩٥٦ وسنة وفاته ، كما كان عضوا بالمجمع العلمى المصرى ، والجمعية الجغرافية ، والمجلس الأعلى للآثار ، ومركز تسجيل الآثار المصرية القديمة ، وجمعية الآثار القبطية ، ولجنة التاريخ والاثار بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ورئيس الشعبة التاريخية للجنة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية هذا الى جانب انه رأس مجلس مديرى الموسوعة العربية الميسرة فيما بين عامى ١٩٥٩ — ١٩٦١ (٢٢) .

وعلى الرغم من مشاغل غربال فى وظائفه التى استنفدت الكثير من وقته ظلت صلته بالدراسات التاريخية مستمرة واستمرت مدرسته التاريخية القائمة على حب البحث والتزام المنهج العلمى قائمة (٢٣) .

وبعد تقاعده تولى منصب مدير معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة التابع لجامعة الدول العربية فبعث فيه الحركة والنشاط ، ووثق علاقاته بالهيئات العلمية والجامعية التى لم تعرف قبل غربال أن هناك معهدا بهذا الاسم ، كما نهض المعهد فى عهده نهضة علمية كبيرة (٢٤) .

يضاف الى ذلك أن غربال عمل على توجيه طلابه بالمعهد توجيها علميا فأخذ يشرف على عدد كبير من الرسائل التاريخية فى المعهد يتناول تاريخ الأمة العربية الحديث والمعاصر حتى خرجت على يديه موضوعات

---

(٢٢) مذكرة مقدمة من الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بترشيح الأستاذ محمد شفيق غربال لجائزة الدولة التقديرية عام ١٩٦٠ .

(٢٣) المذكرة المقدمة من الجمعية التاريخية سابقة الذكر .

(٢٤) محمد مهدى علام : مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما ، المجمعيون القاهرة : ، ١٩٦٦ ص ١٨٠ .

عن العرب والترك (١٩٠٨ — ١٩١٦) و « تاريخ الوحدة العربية حتى عام ١٩٤٥ » و « المسألة المراكشية ١٩٠٢ — ١٩١٢ » و « اليمن فى عهد الامام يحيى ١٩١١ — ١٩٤٨ » وغيرها .

وظل غربال يشغل منصبه فى هذا المعهد بجدارة وهمة حتى يوم وفاته فى ١٩ أكتوبر ١٩٦١ بعد مرض قصير لم يمهله الا اياما فذهب الى جوار ربه فبكاه أصدقاؤه وتلاميذه ومقدرو علمه وعارفو فضله (٢٥) .

ومما سبق يتضح أن شفيق غربال كان مؤرخا وعالما من الطراز الأول يستقرىء الحضارات كما يستقرىء الوثائق والنصوص ، وانه مصرى أصيل عمل فى تواضع ورحابة أفق على النهوض بالدراسات التاريخية فأرسى قواعدها ، ووجهها التوجيه العلمى السليم ، كما يتضح أن جهوده لم تقتصر على انعاش الدراسات التاريخية فى مصر بل تعداها الى المشاركة فى الحركة الفكرية بكل جوانبها وابعادها ، ومما يحمد له انه لم يتملق السراى الملكية رغم اعجابه بشخصية محمد على ، فكان بحق المثل الأعلى للأستاذ الجامعى الذى يحق لمصر أن تفتخر به .

الدكتور حسن عثمان
١٩٠٨ — ١٩٧٣

يمثل الدكتور حسن عثمان نمطا فريدا من المؤرخين المصريين فقد كان فنانا بالدرجة التى كان بها مؤرخا واديبا ، عشق عصر النهضة الأوربية ، وقد أدى عشقه وتعلقه بهذا العصر الى ايجاد مدرسة مصرية متميزة فى الأدب الانسانى والفنى والاجتماعى ، مدرسة تقوم على المنهج العلمى فى التاريخ وتدعو الى الجمع بين الفن والأدب والتاريخ وادخال دراسة الثقافة الفنية مثل فنون الرسم والتصوير والنحت والعمارة وفنون الموسيقى والمسرح ضمن مناهج الدراسة فى كليات الآداب بهدف خدمة الدراسات الانسانية والتى من بينها التاريخ (٢٦) .

---

(25) Abdel Rahman Zaki , Mohammed shafik Ghorbal 1894 — 1961, Cairo, 1962 .

(٢٦) انظر كتابه منهج البحث التاريخى ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ص ٤٤ .

والى جانب ذلك كان حسن عثمان من الرعيل الأول الذى أبرز أهمية ترجمة المؤلفات التاريخية من الايطالية الى العربية وجعلها من اهتمامات الباحثين .

تلقى حسن عثمان دراسته الجامعية بكلية الآداب بالجامعة المصرية ، ونهل من ينابيع العلم على يد الرعيل الأول من علماء مصر ، وقد عرف خلال دراسته باجتهاده واخلاصه ونشاطه الدائب فى طلب العلم ، والى جانب ذلك كان يتصف بعدة صفات كريمة لعل أبرزها عزة النفس وانفة الطبع . ولم يكن حصوله على الليسانس فى التاريخ بدرجة الامتياز فى عام ١٩٢٢ الا ثمرة لكفاحه من أجل الوصول الى التفوق ، وبرغم ذلك عين فى السنة نفسها مدرسا بمدرسة امبابة الابتدائية بالجيزة (٢٧) ثم حصل حسن عثمان على درجة الماجستير باشراف شفيق غربال فى عام ١٩٣٤ فى موضوع كان يبدو غريبا فى ذلك الوقت وعنوانه « فخر الدين بن معن الثانى امير لبنان » وكان بذلك أول من نال درجة الماجستير فى التاريخ الحديث بالجامعة المصرية وبعدها أرسل فى بعثة الى ايطاليا فى عام ١٩٣٥ م للحصول على الدكتوراه فى تاريخ الشرق الأدنى من جامعة روما وكانت بعثته هذه موفقة غاية التوفيق ، وخاصة وأن البعثات فى ذلك الوقت كانت مقصورة على انجلترا وفرنسا ، وبعد أن درس اللغة الايطالية استهوته مظاهر النهضة الايطالية وآدابها وفنونها فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر (٢٨) فدفعه ميله الى الأدب والفن الى دراسة دانتى أحد أعلام عصر النهضة الايطالية ، ولكن أستاذه لم يوافقه على ذلك فى أول الأمر لسببين :

١ — سوء تقدير الجامعة المصرية للدكتوراه الايطالية .

٢ — أن تاريخ الشرق الأدنى الحديث هو مجال بعثته .

ولكن هذه المعارضة لم تستمر طويلا فبعد أن أرسل حسن عثمان

---

(٢٧) المجلة التاريخية المصرية : المجلد الحادى والعشرون ١٩٧٤ من خطاب تأبين الدكتور حسن عثمان الذى القاه الدكتور محمد السروجى .
(٢٨) من حديث الدكتور عزت عبد الكريم اثناء حفل التأبين .

الى أستاذه غربال ترجمته للجحيم ، بدأ يتفهم مدى شغف تلميذه بدراسة تراث « دانتى » ومبلغ معاناته فى اتمام هذا العمل فكتب اليه فى السادس من نوفمبر ١٩٣٩ يقول « كنت سعيدا من أجلك — فقد لقيت على ما يظهر الكثير من أجل دانتى ، وان اتمام العمل الذى يصحب الانسان عمرا نوع من فك الرقبة — فهنيئا لك نعمة الحرية . وبقى — بعد أن تتم ما تبقى من دانتى أن تدخل (فى اعتبارك) ما اكتسبت من نظرته للانسان . وعلى كل حال فلكل يوم شأنه ، ولنجعل اليوم يوم ارتياح لشأن تم والغد شئونه » (٢٩) .

وحصل حسن عثمان على الدكتوراه من جامعة روما فى ديسمبر سنة ١٩٣٨ ، وعين فى اعقابها مدرسا بكلية الآداب بالجامعة المصرية وبقى كذلك حتى نقل الى كلية الآداب جامعة الاسكندرية فى عام ١٩٤٢ ليشغل وظيفة مدرس فى التاريخ الحديث . وفى مارس ١٩٤٧ رقى الى وظيفة استاذ مساعد وبقى بها الى أول ديسمبر ١٩٥٠ ، ثم نقل الى معهد الدراسات السودانية بجامعة القاهرة أستاذا لكرسى تاريخ السودان وآثاره .

وفى عام ١٩٦٤ تولى منصب رئيس المعهد ، وبقى الى أن احيل الى المعاش فى عام ١٩٦٨ ، وظل يشغل وظيفة استاذ تاريخ السودان حتى وفاته فى ٢٩ اكتوبر ١٩٧٣ .

وقد أشرف الدكتور حسن عثمان على عدد من الرسائل وبخاصة فى أثناء عمله بمعهد الدراسات الافريقية نذكر منها الرسالة التى أعدها جميل اسحق عبيد للدكتوراه وعنوانها مديرية خط الاستواء فى الفترة من ١٨٦٣ — ١٨٩٢ .

وللدكتور حسن عثمان العديد من المؤلفات المتنوعة باللغات العربية والايطالية والانجليزية وان كان معظمها يدور حول الشاعر الايطالى دانتى وتلك الأبحاث هى :

١ — البحر الأحمر كطريق تجارى فى عهد البيزنطيين والعرب والمماليك .

---

(٢٩) حسن عثمان : منهج البحث التاريخى ص ٩٤ .

٢ — دير الأنبا انطونيوس .

وقد نشر البحثان فى كتاب بعنوان « رحلة كلية الآداب الى ساحل البحر الأحمر وبعض مناطق الآثار بالوجه القبلى برياسة الأستاذ شفيق غربال » .

٣ — كيف يكتب التاريخ ، سبع مقالات بمجلة الرسالة [٣٠] .

٤ — البحر مناجاة أدبية [٣١] .

٥ — فخر الدين الثانى أمير لبنان وبلاط تسكانا (١٦٠٥ — ١٦٣٥) عرض ونقد لكتاب الأب بولس قرالى مع تقديم وثائق جديدة لم تنشر عنه [٣٢] .

٦ — سافونا رولا (أربع مقالات) [٣٣] .

٧ — سوريا ولبنان فى التاريخ المعاصر — عرض ونقد لكتاب البرت حورانى [٣٤] .

هذا عن أبحاثه ودراساته المتنوعة . أما أبحاثه عن دانتى فهى كثيرة نذكر منها :

١ — دانتى اليجييرى : حياته وشخصيته [٣٥] .

---

(٣٠) أنظر اعداد مجلة الرسالة اغسطس — ديسمبر ١٩٤١ .

(٣١) أنظر مجلة الرسالة عدد ١٧ نوفمبر ١٩٤١ .

(٣٢) أنظر مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول ، المجلد السادس ١٩٤٢ .

(٣٣) أنظر مجلة الثقافة الأعداد ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ سبتمبر — نوفمبر ١٩٤٣ .

(٣٤) المجلة التاريخية المصرية : المجلد الأول اكتوبر ١٩٤٨ .

(٣٥) أنظر الكاتب المصرى : العدد ٣١ المجلد الثامن ابريل ١٩٤٨ .

٢ — فرنتشسكا داريمينى عند دانتى اليجيرى — ترجمة وتحليل وشروح وتعليقات مع تقديم نص من « الجحيم » (٣٦) .

٣ — فارينانا دلى أوبرتى وكاتا لكانتى دى كافالكانتى فى جحيم دانتى — ترجمة وتحليل وشروح وتعليقات مع تقديم نص من الجحيم (٣٧) .

٤ — أوجو لينودى لاجيرار دسكا فى جحيم دانتى — ترجمة وتحليل وشروح وتعليقات مع تقديم نص من الجحيم (٣٨) .

٥ — الأنشودة الخامسة من مطهر دانتى ، ترجمة وتحليل وشروح وتعليقات مع تقديم نص من المطهر (٣٩) .

والى جانب ذلك كان لقيام حسن عثمان بالتدريس فى معهد البحوث والدراسات الافريقية أثره فى دراسته للكوميديا الالهية اذ أخذ يهتم بابراز ما ذكره دانتى عن افريقية ، ونتيجة لذلك كتب ثلاثة بحوث فى هذا الموضوع . أولها « افريقية فى جحيم دانتى » وقد تام فيه بترجمة بعض النصوص الواردة فى هذا الموضوع وقدم لها بالعديد من التعليقات والشروح (٤٠) .

وثانيها كان بعنوان « افريقية فى مطهر دانتى » وقدم فيه نصوصا من المطهر للاستشهاد بها مع تحليلها والتعليقات عليها (٤١) .

---

(٣٦) انظر مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول ج ١ المجلد ١١ مايو ١٩٤٩ .

(٣٧) انظر مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول ج ٢ المجلد ١١ ديسمبر ١٩٤٩ .

(٣٨) انظر مجلة الآداب جامعة فؤاد الأول ج ٢ المجلد ١٢ ديسمبر ١٩٥٠ .

(٣٩) انظر مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ج ١ المجلد الثامن عشر مايو ١٩٥٨ .

(٤٠) انظر مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، العدد العاشر ١٩٥٦ .

(٤١) انظر مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، العدد الرابع عشر ١٩٦٠ .

اما الثالث فكان بعنوان « افريقية فى فردوس دانتى » وهو عبارة عن ترجمة لبعض النصوص من الفردوس وتحليلها والتعليق عليها .

وكتب الدكتور حسن عثمان بحثا بالانجليزية بعنوان :

Dante in Arabic, In the Seventy. third Annual Report of the Dante Society of America Widener Library, Harvard university, Combridge Massachuseets U.S.A., 1955 .

كما كتب مقدمة بالايطالية والعربية لكتاب الاستاذ « طه فوزى » عن دانتى اليجيرى الذى صدر فى القاهـــرة .

اما الكتب التى ألفها او ترجمها فهى :

١ — رسالته للماجستير المعنونة « فخر الدين بن معن الثانى أمير لبنان » نوقشت بالجامعة المصرية فى عام ١٩٣٤ ولم تنشر حتى الآن .

2 — Fa Khr-ud-Din II Emero del Libanoe le Sue Relazioni-con l'occidente, Con Documenti Inediti, p. 1 Roma, 1938.

وهى رسالته للدكتوراه التى حصل عليها من جامعة روما فى عـــام ١٩٣٨ ولم تنشر الى الآن (٤٢) .

٣ — تاريخ مصر فى العصر العثمانى (١٥١٧ — ١٧٩٨) وقد نشره بالاشتراك مع الأستاذ محمد محمد تونيق فى كتاب « المجمل فى التـــاريخ المصرى » (٤٣) الذى أصدره بعض أعضاء هيئة التدريس بكليـــة الآداب بجامعة فؤاد الأول فى عام ١٩٤٢ .

٤ — منهج البحث التاريخى وقد صدرت منه طبعات عديدة كان أولها فى عام ١٩٤٣ . وهذا الكتاب من المؤلفات ذات الأهمية القصوى لـــدى الباحثين ، وخاصة أن صاحبه اعتمد فيه على خلاصة ما ورد فى العديد من

---

(٤٢) من خطاب التأبين للدكتور السروجى ص ٦ .

(٤٣) اعتمد المؤلفان فى هذا الكتاب على العديد من الوثائق التركية التى تتعلق بتاريخ الادارة العثمانية فى مصر .

المؤلفات الأوربية والأمريكية والعربية الخاصة بمناهج البحث كما انه استرشد فيه ببعض ما كتبه علماء المسلمين فى الرواية والحديث .

٥ « سافونا رولا : الراهب الثائر » وقد صدر عن دار الكاتب المصرى بالقاهرة فى عام ١٩٤٧ وحاز به صاحبه على جائزة الدولة فى عام ١٩٤٩ م .

٦ — على أن أهم عمل قام به حسن عثمان هو ترجمته للكوميديا الالهية والتى قام بنشرها فى الفترة من ١٩٥٩ — ١٩٧٢ وقد صدر منها :

(أ) النشيد الأول « الجحيم » فى عام ١٩٥٩ .

(ب) النشيد الثانى « المطهر » فى عام ١٩٦٤ .

(جـ) النشيد الثالث « الفردوس » فى عام ١٩٧٢ .

وقد زودت هذه الترجمات بمقدمة وتحليل وشروح وتعليقات .

وطريقته فى ترجمة الكوميديا هى أن يجمع فى النص المترجم بين روح البيان العربى والمحافظة على المعنى .

ونتيجة للجهود المضيئة التى بذلها الدكتور حسن عثمان وبخاصة فى ترجمة أمهات الأدب الايطالى — فى مجال الدراسات الدانتية — الى العربية حصل على العديد من الجوائز منها .

١ — ميدالية « أوسكار داماليا » الذهبية الدولية فى عام ١٩٦٥ بمناسبة الذكرى المئوية السابعة لميلاد دانتى (بالاشتراك مع اساتذة آخرين) .

٢ — جائزة الدولة التشجيعية فى فن الترجمة مع وسام المعارف من الدرجة الأولى .

٣ — جائزة اللجنة الوطنية الايطالية الدانتية من فلورنسا فى ٣٠ ابريل ١٩٦٦ .

٤ — جائزة وزارة الخارجية الايطالية فى روما فى ٢٨ يوليو ١٩٦٦ .

٥ — الميدالية الذهبية من المجمع العلمى للعلماء الدانتيين فى روما فى ٢٧ نوفمبر ١٩٦٦ (بالاشتراك مع أساتذة آخرين) .

٦ — الميدالية الذهبية من « جمعية دانتى البجيرى » فى بالرمو فى ١٥ ديسمبر ١٩٦٦ .

٧ — الدكتوراه الفخرية من جامعة بالرمو بصقلية فى ٨ مايو ١٩٧٣ .

والى جانب ذلك اشترك الدكتور حسن عثمان فى العديد من المؤتمرات الدولية منها .

١ — المؤتمر الدولى الدانتى فى فلورنسا فى ابريل ١٩٦٥ .

٢ — المؤتمر الدولى الدانتى فى افينون فى أكتوبر ١٩٦٥ .

يضاف الى ذلك أنه كان عضوا فى العديد من الجمعيات العلمية نذكر منها عضويته بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية وجمعية دانتى بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة ، وعضويته الفخرية فى المجمع العلمى للعلماء الدانتيين فى روما (٤٤) .

وكانت آمال الدكتور حسن عثمان العلمية كبارا ، فقد كان ينوى قبل وفاته أن يفرغ للقيام بدراسة عن العلاقة بين الموسيقى والأدب فى عصر دانتى ، ومن المشروعات التى راودته ، وشغلت تفكيره أيضا ترجمة أعمال بترارك ، ولكن المنيه أعجلته عن أن يحقق شيئا من ذلك .

وتقضى مشيئة الله أن تنعاه مصر فى التاسع والعشرين من أكتوبر ١٩٧٣ فى خلال انتصاراتها فى معارك اكتوبر ، وفى يوم وداعها لعميد الأدب العربى الدكتور طه حسين فيضيع نبأ وفاته فى زحمة الأحداث (٤٥) .

---

(٤٤) من خطاب التأبين الدكتور السروجى ص ١٠ .

(٤٥) نفسه .

الدكتور احمد عـــزت عبد الكريم

١٩٠٩ — ١٩٨٠ م

ولد الدكتور احمد عزت عبد الكريم فى شبين الكوم فى عام ١٩٠٩ م، وأتم تعليمه الابتدائى بمدرسة قنا الابتدائية سنة ١٩٢٢ والثانوى بمدرسة الزقازيق سنة ١٩٢٦ وقد برز تفوقه فى الدراسة منذ تخرجه فى كلية الآداب بالجامعة المصرية فى عام ١٩٣٠ ثم تابع دراساته العليا فحصل على درجـــة الماجستير فى عام ١٩٣٦ باشراف الأستاذ محمد شفيق غربال وكان موضوع رسالته هو « تاريخ التعليم فى عصر محمد على » ثم كان أول من ينـــال الدكتوراه فى التاريخ من خريجى الجامعة وكان ذلك عـــام ١٩٤١ وكان موضوع رسالته « تاريخ التعليم منذ أواخـــر عصر محمد على الى أوائل حكم توفيق » وكانت باشراف غربال أيضا .

وقد عمل عزت عبد الكريم بالتدريس فى جامعة فؤاد الأول منذ عـــام ١٩٣٨ ثم نقل الى جامعة عين شمس منذ انشائها فى عام ١٩٥٠ حتى توفاه الله فى عام ١٩٨٠ .

وقد اجتمعت فى الدكتور عزت عبد الكريم كل سمات المؤرخ من حيث تحقق الضمير العلمى ، وعدم التحيز ، والتسامح ، وادراك المـــواقف ، والربط بين الأحداث ، يضاف الى ذلك نبل خلقه ، وذكاؤه المتوقد . وكل هذه الصفات جعلت منه ينبوعا دافقا من العلم والخلق والانسانية ، وسفرا شع ضياؤه على المدرسة التاريخية الحديثة .

ونتيجة لذلك دعى للتدريس والقاء المحاضرات ومناقشة الرســـائل الجامعية فى كثير من الجامعات العربية والأجنبية فى دمشق ، وبنغـــازى ، والخرطوم ، وبيروت ، والكويت ، ووهران فاكسبه هذا سمعة علميـــة مرموقة فى مختلف المؤسسات العلمية العربية ، وعمل استاذا زائـــرا فى جامعة فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٩٥٢ واتيح له حضور عدد من المؤتمرات العلمية فى التاريخ : مؤتمر التاريخ والآثار فى المغـــرب عام ١٩٥٨ ومؤتمر التاريخ الآسيوى فى الهند عام ١٩٦١ ومؤتمر التـــاريخ

الدولى فى بغداد ١٩٧٣ [٤٦] ومؤتمر الحضارة العربية بالجامعة اللبنانية ببيروت عام ١٩٧٥ [٤٧] .

هذا بالاضافة الى قيامه بالتدريس بمعهد البحوث والدراسات العربية منذ انشائه . وفى كل هذه المجالات تميز الدكتور أحمد عزت عبد الكريم بسمات الأستاذ العالم من اهتمام بمحاضراته وبحوثه ، وتوثيق علاقته الأبوية بطلابه الذين ترك فيهم آثارا باقية كان يغذيها استمرار صلاته بهم بعد التخرج من الناحية العلمية والناحية الاجتماعية .

ولعل مما يضاف الى رصيده العلمى انشاءه لسمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس فى عام ١٩٥٥ للاشراف المتواصل على أبحاث تلاميذه بالدراسات العليا وتدريبهم على أصول البحث العلمى وتوجيههم الى المادة التاريخية الأصلية ، وبقى مواظبا فى شتى الظروف على عقد هذه الجلسة العلمية مساء كل يوم خميس حتى صار السمنار الذى يحمل اسمه سمة مميزة وبارزة فى مجال العلاقات الجامعية والعمل العلمى وصار له فى مختلف الجامعات المصرية والعربية تلاميذه ومريدون يشغل معظمهم منصب الأستاذية فى هذه الجامعات .

وقد وجه الدكتور عزت عبد الكريم تلاميذه فى الدراسات العليا لدراسة تاريخ العرب الحديث والمعاصر ومن الرسائل التى خرجت على يديه فى هذا المجال نذكر رسالتى الدكتور عبد العزيز نوار للماجستير والدكتوراه « داود باشا والى بغداد ١٨١٦ — ١٨٣١ » و « تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا ١٨٣١ — ١٨٧٢ » ورسالتى الدكتور جمال زكريا قاسم للماجستير والدكتوراه « دولة البوسعيد فى عمان وزنجبار منذ تأسيسها حتى انقسامها ١٧٤١ — ١٦٨١ » ورسالتى الدكتور السيد مصطفى سالم للماجستير والدكتوراه «اليمن فى عهد

---

(٤٦) من مذكرة قدمتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية الى المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية لترشيح الدكتور أحمد عزت عبد الكريم لجائزة الدولة التقديرية عام ٧٢ — ١٩٧٣ .

(٤٧) سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس بمناسبة مرور عشرين عاما على تأسيسه ص ٥ .

الامام يحيى » و « الفتح العثمانى الأول لليمن ١٥٣٨ — ١٦٣٥ » ورسالتى الدكتور يونـــان لبيب رزق للماجســـتير والدكتوراه « العلاقات الخارجية للدولة المهدية فى عهد الخليفة عبد الله التعايشى » والسودان فى عهـــد الحكم الثنائى الأول ١٨٩٩ — ١٩٢٤ .

ومما يجدر بالذكر أيضا أن الدكتور عزت عبد الكريم أسهم اسهامات جادة منذ سنوات طويلة فى اعداد المناهج التاريخية للمدارس الثانـــوية كما شارك فى وضع بعض الكتب المدرسية واهمها كتابه فى تاريخ العـــالم العربى الحديث والمعاصر .

وفى مجال التأليف والترجمة نجد للدكتور عزت عبد الكريم مؤلفـــات تقترن باسمه منها « تاريخ التعليم فى عصر محمد على » و « تاريخ التعليم منذ أواخـــر عصر محمد على الى أوائل حكم توفيق » كما شارك فى تأليف كتاب تاريخ أوربا الاقتصادى والمجمل فى تاريخ مصر العام .

ولعل آخـــر كتبه كان كتابه « دراسات فى تاريخ العـــرب الحديث » وفيما يلى نعرض لهذه المؤلفات .

١ — تاريخ التعليم فى عصر محمد على .

بحث علمى مدعم بالوثائق فى كل فصل من فصوله ويتميز فيه صاحبه بحسن التعليل والتدليل والقدرة على الموازنة والمقارنة بين المصـــادر ، ومحاولة كشف ما فيها من غموض .

تاريخ أوربا الاقتصادى .

يستشف فيه المزج الدقيق بين التطور الاقتصادى فى أوربا الحديثة وتاريخها السياسى والاجتماعى .

المجمل فى تاريخ مصر العام .

والكتاب به فصل للدكتور عزت عبد الكريم عن مصر من الحملـــة الفرنسية حتى عام ١٨٧٩ وهو عبارة عن دراسة هامة يرجع اليهـــا الدارسون لتطور مصر الحديثة .

دراسات فى تاريخ العرب الحديث .

ويضم هذا الكتاب ست دراسات فى تاريخ العرب الحديث سبق نشر أربع منها أما الدراستان الخامسة والسادسة فلم يسبق نشرها ، وهذه الدراسات الست على الرغم من تنوعها من حيث الموضوع والزمان والمكان فانها ترتبط باطار واحد هو اطار التاريخ العربى الحديث منذ بدايته فى فترة الفتوح العثمانية حتى حرب يونيو ١٩٦٧ وآثارها ، فاذا كان عنوان الفصل الاول هو « العلاقات بين الشرق العربى وأوربا بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر » فان عنوان الفصل الأخير من هذا الكتاب « المعالم الرئيسية فى تاريخ القضية الفلسطينية » وبين هذا وذاك تتناول فصول الكتاب دراسات منوعة من تاريخ العرب الحديث فى المشرق والمغرب فعن المشرق تناول الفصل الثانى من الكتاب « التقسيم الادارى لسورية فى العهد العثمانى » وتناول الفصل الثالث « دمشق فى منتصف القرن الثامن عشر » ودرس الفصل الرابع « نهضة مصر فى القرن التاسع عشر » أما عن المغرب فقد تناول الكتاب فى فصله الخامس « المسألة الجزائرية فى السياسة الدولية منذ تأسيس النيابة الى حملة ١٨٣٠ » .

وفى مجال التحقيق العلمى أصدر الدكتور عزت عبد الكريم تحقيقا لحوليات الكاتب الدمشقى أحمد البديرى الحلاق الذى صور الحياة الاجتماعية فى دمشق فى القرن الثامن عشر ، وقد صدر تحقيقه لهذه المخطوطة بمقدمة طويلة عن أحوال سورية فى القرن الثامن عشر .

وفى هذا المجال ايضا نشر فى حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس عن « التنظيم الادارى بسورية فى العصر العثمانى » هذا الى جانب بحوث أخرى نشرت فى مجلات وحوليات علمية متعددة فى « أصول المسألة الجزائرية » و « التغيير الاجتماعى لمجتمع القاهرة فى القرن التاسع عشر » و « أزمة الفكر العربى فى مطلع العصر الحديث » و « الجبرتى مؤرخ مصرى على مفترق الطرق » .

وفى مجال الترجمة أسهم الدكتور عزت عبد الكريم فى ترجمة كتاب « البندقية جمهورية أرستقراطية » لشارل ديل كما راجع عددا من

الترجمات المهمة التى أثرت المكتبة العربية فى موضوعات لها أهميتها ، ساعده فى ذلك تمكنه العلمى ، والمامه الواسع بأساليب اللغتين العربية والانجليزية وقد عرف عنه الدقة والحرص فى هذا المجال (٤٨) .

والى جانب ذلك اصدر الدكتور عزت عبد الكريم سلسلة « المكتبة التاريخية » ذلك المشروع العلمى الذى قام على أساس تكوين سلسلة من الدراسات التاريخية بأقلام المتخصصين فى شتى فروع المعرفة التاريخية ليستفيد منها طلاب الجامعات وكل صاحب حظ من ثقافة ، وقد أخذ هذا المشروع طريقه الى الظهور فى يونيو ١٩٥٨ ، وصدر الدكتور عزت عبد الكريم كل كتاب من هذه المجموعة بمقدمة علمية شاملة (٤٩) .

ونتيجة لجهود الدكتور عزت عبد الكريم المثمرة ودوره فى خدمة الدراسات التاريخية تم اختياره رئيسا للجمعية التاريخية فى الفترة من ١٩٦٥ — ١٩٧٦ وقد بذل فيها من جهده ووقته وخاصة فى مجال تنظيم الندوات والمواسم الثقافية ما حقق للجمعية أفضل مواسم ثقافية عرفتها فى تاريخها . ويرجع نجاح هذه الندوات الى الجهود التى كان يبذلها فى الترتيب والتنظيم والادارة الحكيمة ، والى خبرته وولعه الشديد بأن تأتى ثمار هذه الندوات يانعة (٥٠) فقد حرص على اقامة ندوة سنوية لمناقشة حياة مؤرخ من أعلام مؤرخى مصر وسيرته ومنهجه وأعماله العلمية على نحو علمى يليق بمكانته وذلك بهدف احياء ذكرى أعلام المؤرخين . وحتى يتوفر لمثل هذه الندوات الامكانات المالية والاعلامية وغيرها شارك المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية فى هذه الندوات . وقد بدأت هذه الندوات بندوة عن المؤرخ « تقى الدين المقريزى » فى الرابع من مايو ١٩٦٦ وتلتها ندوة عن المؤرخ « القلقشندى » ثم ندوة عن المؤرخ « عبد الرحمن بن عبد الحكيم » وندوة عن « أبى المحاسن بن تغرى بردى» وتبعتها الندوة العلمية عن « ابن اياس » ثم احتفلت الجمعية فى عام

---

(٤٨) مذكرة الجمعية التاريخية بشأن ترشيح الدكتور أحمد عزت عبد الكريم لجائزة الدولة التقديرية .

(٤٩) انظر العدد الأول من السلسلة .

(٥٠) د. عبد المنعم الجميعى : الجمعية المصرية للدراسات التاريخية دراسة تاريخية لمؤسسة علمية ص ١٥٧ .

١٩٧٤ بمرور مائة وخمسين عاما على وفاة المؤرخ « عبد الرحمن الجبرتى » .

ويضاف الى ذلك أن الدكتور عزت عبد الكريم دفع الجمعية الى المشاركة فى العديد من المناسبات العلمية والقومية فقد أقامت الجمعية « ندوة مصطفى كامل » بمناسبة مرور مئة عام على ميلاد الزعيم الوطنى مصطفى كامل .

ولم تقتصر ندوات عزت عبد الكريم على الجمعية التاريخية بل أقام فى سمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس الذى يعتبر لبنة من لبناته العديد من المؤتمرات السنوية فنظم السمنار ندوة « وثائق تاريخ العرب الحديث » وندوة « البحر الأحمر فى التاريخ » وندوة « الثورة العرابية بمناسبة مرور مائة عام على قيامها » .

هذا عن الدكتور عزت عبد الكريم الباحث والمعلم والمؤرخ وهناك مجال آخر برز فيه وهو التطبيق العلمى لأفكاره ولأستاذيته فى مجال أوسع حين تولى عمادة كلية الآداب بجامعة عين شمس ثلاث سنوات ١٩٦١ — ١٩٦٤ شهدت فيها الكلية آثار جهوده وعلاقاته بطلبته وأعضاء هيئة التدريس فقد كان قدوة فى الأنكباب على العمل فى دقة واحاطة واسعة . وقد اهله ذلك لتولى وكالة جامعة عين شمس ثم مديرا للجامعة نفسها فى عام ١٩٦٨ حتى أحيل الى المعاش فى العام التالى .

ولم تقتصر جهوده فى خدمة التعليم الجامعى على جامعة عين شمس وانما امتدت الى التعليم الجامعى بصفة عامة فاختير رئيسا للجنة قطاع الدراسة والعلوم الانسانية بالمجلس الأعلى للجامعات وهى اللجنة التى اشرفت على تطوير الدراسة بكليات الآداب ، ودار العلوم فى سنتى ٦٨ — ١٩٦٩ كما كان أيضا مقررا للجنة الدائمة لفحص انتاج أساتذة التاريخ فى الجامعات المصرية .

وقد شارك الدكتور أحمد عزت عبد الكريم فى نشاط « المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية » عدة سنوات فكان عضوا به ، كما عمل عضوا بلجنة التاريخ والآثار بالمجلس .

وهكذا كان للدكتور عزت عبد الكريم الأثر الكبير فى تكوين جيل كبير من دارسى التاريخ الحديث وأساتذته فى شتى البلدان العربية طوال مدة تربو على الأربعين عاما قضاها فى حماسة وصبر كبيرين ، فكان بذلك من الأفذاذ الذين شقوا طريقهم بقلمهم وفكرهم ، فترك الدنيا بعد ان خلف وراءه تراثا هاما للأجيال القادمة واستطاع بذلك ان يسيطر اسمه فى جبين تاريخنا الحديث .

الدكتور محمد أنيس

١٩٢١ — ١٩٨٦ م

المؤرخون نوعان نوع تصنعه الظروف ، ونوع يستطيع أن يصنع الظروف . النوع الأول يقتصر دوره داخل حدود الحرم الجامعى ، ولا يزيد فكره على مجرد معلومات موضوعة بين دفتى كتبه أما النوع الثانى فهو موهوب لديه ملكة النقد والفحص والاستقراء والأفق الواسع وكثيرا ما يسبق فكره عصره . والدكتور محمد أنيس من النوع الثانى فانه كان مؤرخا يملك القدرة على ادراك المواقف ، ويحترم فكره ، ويصون نفسه عن الامتهان ، لا يداهن ولا يرائى ويتحلى بسلامة الفكر ، وصواب الحكم ، وعمق الايمان بقضايا أمته ، وكان على استعداد لمواجهة أعتى التحديات والمخاطر فى سبيل الدفاع عن حق يعتقده أو فكرة يؤمن بها ، أو من أجل الدفاع عن مظلوم سلب حقه ، أو اعتدى على فكرة دون يأس أو كلل أو استسلام يضاف الى ذلك أنه قاد مدرسة التاريخ الاجتماعى فى مصر لا بقلمه وفكره فحسب وانما بأعصابه وشرايينه حتى أخذت هذه المدرسة تدلى بدلوها ضمن المدرسة التاريخية المصرية وقد ولد الدكتور محمد أنيس فى ٢١ / ٨ / ١٩٢١ وحصل على ليسانس التاريخ فى عام ١٩٤٣ وكان الأول على دفعته فأوفدته الجامعة فى بعثة دراسية لدراسة التاريخ الحديث فى لندن فحصل على الدكتوراه فى عام ١٩٥٠ وكان موضوع رسالته يدور حول الصراع على البحر الأحمر كطريق للمواصلات فى القرن الثامن عشر وعنوانها :

The Development of British interests in the late 18 th Century

وقد اعتمد فى دراسته هـذه على الارشـيف الانجليـزى فى العصر العثمانى .

وبعد أن أتم الدكتور أنيس رسالته عاد الى مصر ليعمل مدرسـا لتاريخ الحديث بجامعة القاهـرة . وفى خلال ذلك أثبتت عقليته الواعية المتفتحة وحسه التاريخى المرهف القدرة على التميز بين ما يدور حوله ، كما استطاع بدقة ملاحظته وحرية فكرة أن يتخطى الحواجز ، ويعـالج الكثير من الأمور التى كانت تعد محظورة فى ذلك الوقت . ففى الخمسينات من هذا القرن حينما كانت مصر تنتقل من العصر الملكى الى العصر الجمهورى، وكان كل صاحب رأى يعد خطـرا فى نظـر السلطة كانت محـاضرات الدكتور أنيس الجريئة بالجامعة تطرح القضايا الشائكة التى كانت تجول بخواطـر الطلاب حول المـاضى والحاضر والمستقبل والعلاقة بين الوطنية والحرية والسيادة والاستقلال ، وعلاقة مصر بالعالم العربى بصفتها مركز الثقل فى المنطقة العربية ، وكان الدكتور أنيس يطرح الأسئلة التى تبحث عن اجابات ليشحذ هم طلابه ، ويستثير نفوسهم ، ويدفعهم الى التفكير من أجل البحث معه عن الحقيقة ، ثم يقوم بمناقشة ما طـرحه من أسئلة من جميع نواحيها فى لغة سهلة يسيرة تتميز بعفوية الحركات ، وحسن الاستطراد وبساطة الطرفة والجمع بين القدرة على تمثيل الحقائق التاريخية والأسلوب الذى يفضى الى تفهم هذه الحقائق . وبعد أن يضع الدكتـور أنيس النقاط على الحروف يخرج طلابه من قاعات الدرس وهم يشعرون أنهم أصبحوا أقدر على فهم وتفسير الأحداث التى تلاحق وطنهم لذلك أحبه طلابه وقدروا فيه فكره ومقدرته ودقة ملاحظته وصفاء ذهنه واتسـاع خياله وادراكه للمواقف هذا فضلا عن روحه المرحة .

وحين تعرض الدكتور أنيس لمضايقات السلطة التى كانت تلاحقه ، وتمهد لفصله من الجامعة فى عام ١٩٥٤ أضرب تلاميذه فى قسم التاريخ عن الدراسة دفاعا عن أستاذهم واحتجاجا على ما يحاك ضده ، ونتيجـة لالحاح طلابه عاد الى قاعة الدرس ليلقى محاضراته ، وليرفع عاليا راية القيم الجامعية الحقة (٥١) .

---

(٥١) الأخبار فى ١٩٨٦/٩/٧ مقال للاستاذ نبيل زكى تحت عنـوان « لله وللتاريخ » .

وحين وقع العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ وكانت الجامعة لاتزال مفتوحة ، والطلاب ينتظرون محاضرة استاذهم ، دخل الدكتور أنيس قاعة المحاضرة ولم يقل غير كلمات محدودة « ليس الآن وقت الكلام ، وانما هو وقت النضال ، وليس عندى ما اقوله سوى دعوتكم جميعا للخروج فى هذه اللحظة ، والانضمام الى مركز التدريب » .

وهكذا خرج الطلاب يبحثون عن تلك المراكز التى كان يجرى اعدادها على عجل (٥٢) .

لقد احب الدكتور أنيس مصر وعشق تاريخها ، فعبر بقلمه وفكره عن قضايا وطنه ، ووجه درس التاريخ الاجتماعى — وبخاصة بعد وصوله الى كرسى استاذية التاريخ فى جامعة القاهرة — وهو الدرس الذى يرى ان المحرك الأول لتسيير التاريخ هو الشعب ومن هنا حاول ربط الحركة التاريخية فى مصر بابراز دور المقاومة الشعبية ، ورد اعتبار الشعب المصرى ومسيرته فى صنع الأحداث ، ومقاومة الوطنيين للنفوذ الاستعمارى بكافة اشكاله ، وابراز دور الحركات الوطنية فى مواجهة الاحتلال ، كما تصدى لدور المدرسة الاستعمارية التى ترى ان استمرار حركة التغريب هى الطريقة المثلى للحاق الشرق بالغرب ، وان مواكبة الغرب والتبعية له ضرورة حيوية لانقاذ الشرق من براثن التخلف وانطلاقا من ذلك وجه الدكتور أنيس تلاميذه فى الدراسات العليا الى التركيز على دراسة الحركات الوطنية فى مصر ، وثورات التحرر فى العالم العربى ، ودراسة القوى الاجتماعية ، ودورها فى مواجهة الاستعمار والمتمثلة فى الحركات العمالية والطلابية والفلاحية وطبقة المثقفين ، وقد خرجت على يديه عشرات الرسائل فى هذا المجال نذكر منها رسالتى الدكتور عبد العظيم رمضان الماجستير والدكتوراه « تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩١٨ الى ١٩٣٦ » و « تطور الحركة الوطنية فى مصر من ابرام معاهدة ١٩٣٦ الى بداية الحرب العالمية الثانية » ورسالة

---

(٥٢) الأهرام فى ١٩٨٦/٩/٧ مقال للدكتور عادل غنيم تحت عنوان « محمد أنيس .. المؤرخ الوطنى الذى فقدناه » .

الدكتور على بركات للدكتوراه « تطور الملكية الزراعية فى مصر واثره على الحركة السياسية ١٨٤٦ — ١٩١٤ » ورسالة الدكتور مصطفى النحاس جبر للماجستير « سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ١٩٠٦ — ١٩١٤ ورسالة الدكتورة نوال راضى للماجستير « الحركة العمالية واثرها فى تطور التاريخ السياسى فى مصر ١٨٩٩ — ١٩٣٠ » ورسالة الدكتور عبد المنعم الجميعى للماجستير « الخديو عباس الثانى والحزب الوطنى » ورسالتى الدكتور عادل غنيم للماجستير والدكتوراه « الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ حتى ١٩٣٦ و « الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦ حتى قيام الحرب العالمية الثانية » ورسالة الدكتور اسماعيل ياغى للماجستير « حركة رشيد عالى الكيلانى » ورسالتى الدكتور عبد الأمير العسكام للماجستير والدكتوراه « تاريخ حزب الاستقلال العراقى ١٩٤٦ — ١٩٥٩ » و « الحركة الوطنية فى العراق ١٩٢١ — ١٩٣٣ » ورسالة عبد الله جندى أيوب للماجستير « كتاب الأمير عبد القادر الجزائرى ضد الفرنسيين فى الجزائر » ورسالة أحمد صدقى الدجانى للماجستير « نشأة الحركة السنوسية ونموها فى القرن التاسع عشر » ورسالة عبد الفتاح أبو عليه للماجستير « الدولة السعودية الثانية ١٨٤٠ — ١٨٩١ » ورسالة خيرية قاسمية للماجستير « الحكومة العربية فى دمشق ١٩١٨ — ١٩٢٠ » وأغلب الظن أن فترة طويلة ستمضى حتى يمكن دراسة المجالات التى دخا اليهـا الدكتور أنيس وفتح أبوابها ومد آفاقها خاصة وانه كان يخوض غمار الأفكار الصعبة ولا يقتنع باليسير الهين دون أن يكل عزمه أو يفتر ازاء ما يلقى من صعاب .

لقد كان الدكتور أنيس يكره الظلم ومحاولات قهر الانسان ولم يكن بداهن أو يرائى بل كان كالمرآه الصافية متواضعا لا يضيق صدره أو ينقبض قلبه من مزاح . ومع غزارة علمه لم يكن يدعى المعرفة بكل شىء فـاذا التبس عليه أمـر من الأمور لم يجـد غضاضة فى أن يحيل سائليه الى المصادر التى يمكن عن طريقها التحقق من المعلومة التى يريدها .

وقد زاد من محبة الطلاب للدكتور أنيس انه كان يحمل بين جنبيه قلبا كبيرا مفعما بالحب والاخلاص ، وكان انسانا عطوفا يحس باحساسهم

ويتألم لآلامهم ، ويتأثر بمشكلاتهم ومحنهم وأذكر أنه بعد هـزيمة ١٩٦٧ واستمرار اعتداءات اسرائيل على مدن القناة ، واضطرار الحكومة المصرية الى تهجير أهالى القنال الى داخل البلاد علم الدكتور انيس فى اسرة أحد تلاميذه كانت ضمن المهجرين ، وأنها تعيش فى احدى الخيام المعدة لذلك فأسرع بشراء بعض الهدايا لأطفال هذه الأسرة وأخذ يبحث عنها وسط خيام المهجرين بالقاهـرة ، حتى قابل عائلها ، وكانت كلمات أنيس العطوفة ذات اثر جميل فى نفس هذه الأسرة فقد خففت عنها لوعة ما هى فيه ، وأظهرت لها أن الدنيا ما تزال بخير .

أما مؤلفات الدكتور انيس وآثاره العلمية فقد كانت تعبر أصدق تعبير عن ايمانه بقدرات الشعب المصرى الخلاقة ، ومحاولاته المستمرة للوقوف ضد ظالميه ومغتصبى حقوقه فمن يقرأ دراساته وأبحاثه فى تـاريخ مصر الحديث والمعاصر يجد فيها « بانوراما » لانتاجه الفكرى الذى يرقى فوق أسلوب سرد الحوادث والوقائع ويتميز بالأصالة ، ويقوم على الدراسات المهضومة التى تخاطب العقل ، وتتغزل فى حب مصر والدفاع عن حقوقهـا بطريقة محببة للعقل والنفس معا ويشعر بأنه يقرأ لمؤرخ قادر على توصيل الحدث ونقله بطريقة صحيحة مؤثرة وكأنه يعيش فى العصر الذى يتحدث عنه وكأن الحدث يتمثل أمامه .

لقد ظل الدكتور أنيس فى كتاباته يدعو الى نفض تراب النسيان الذى تراكم على صفحات الكفاح الوطنى سعيا وراء الأسرار والخفايا المجهولة ، وبحثا عن التراث الفكرى والحضارى فى أحشاء التاريخ . كما أنه طرق بابا جديدا للوصول الى ماهو غير متاح فى الكتب والوثائق المستهلكة الا وهو الحصول على مذكرات السياسيين الذين شاركوا فى الأحداث ثم دراستها واستخلاص ما بها من أسرار وأخبار ، والربط بينها وبين شتات المتفرقات التاريخية والحقائق المضطربة المتنازعة بحثا عن الحقيقة الواضحة الأركان وقد نجح فى ذلك الى حد كبير .

ومع أن اهتمامات الدكتور أنيس تركزت فى دراسة تـــاريخ مصر المعاصر والبحث فى دهاليز هذا التاريخ بحثا عن شخصياته المحركة فانه لم يغفل أيضا دراسة الحكم العثمانى للوطن العربى وأثره .

وتناول الدكتور أنيس فى كتاباته التاريخ الأوربى فى محاولة منه لابراز أهمية التفسير الاقتصادى فى فترة انتقال أوربا الى العصور الحديثة .

وبالنسبة لتاريخ مصر الحديث فقد ألف الدكتور أنيس كتابا بعنوان حضارة مصر الحديثة تناول فيه الاتجاهات الهامة فى تطور مصر السياسى والاقتصادى والاجتماعى خلال العصر الحديث .

وفيما يخص تاريخ مصر المعاصر أصدر الدكتور أنيس كتابا بمناسبة اشتراك مصر فى مؤتمر باندونج فى عام ١٩٥٥ وكان عنوانه«المؤتمر الآسيوى الافريقى » أوضح فيه أسباب انتهاج مصر لسياسة الحياد الايجابى والتعايش السلمى . وفى عام ١٩٥٨ وبعد قيام الوحدة بين مصر وسورية أصدر الدكتور أنيس كتابا بعنوان « دراسة القومية العربية من الناحيتين النظرية والتاريخية » أوضح فيه أن الوحدة العربية هى السبيل الأمثل لحركة النضال الوطنى فى العالم العربى ، وأن مصر قلب العروبة النابض ورائدة الكفاح ضد الاستعمار ستظل مركز الثقل فى العالم العربى .

وفى عام ١٩٦٢ أصدر الدكتور أنيس كتابا تحت عنوان « صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل » وانفرد فيه بنشر رسائل جديدة لمصطفى كامل من ٨ يونيو ١٨٩٥ الى ١٩ فبراير ١٨٩٦ ترتبط فى معظمها بعلاقته مع الخديو خلال هذه الفترة .

وفى عام ١٩٦٣ نشر كتابه « دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ » وهو يحوى المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى السكرتير العام للجنة الوفد المركزية وهى توضح العديد من النقاط الغامضة خلال اشتعال الثورة ودور عبد الرحمن فهمى فى ضم العمال خلال الثورة .

وفى عام ١٩٧٢ ينشر كتابه « ٤ فبراير ١٩٤٢ فى تاريخ مصر السياسى» وهو عبارة عن مجموعة مقالات كان قد نشرها فى الأهرام فى عام ١٩٦٧ وتتمثل قيمة هذا الكتاب فى أن صاحبه فتح للمؤرخين بابا جديدا باعتماده على الوثائق البريطانية فى تحديد مسئولية الوفد فى هذه الحادثة وربطه للأحداث فى اطارها الدولى ، وبحكم فكره التقدمى استطاع أن يثبت أن الأمر يرجع الى رغبة بريطانيا فى الاستناد الى قوة شعبية

مثله فى حزب الوفد . وهذه الرغبة دفعتها الى ما حدث وهذا يؤكد فى النهاية نفى المزاعم التى ترددت حول عمالة النحاس للانجليز وتورطه فى الأمـــر .

وفى عام ١٩٧٢ ايضا صدر له كتاب بعنوان « حريق القاهـــرة ٢٦ يناير على ضوء وثائق تنشر لأول مـــرة » وهـــو عبارة عن مقالات كان قد نشرها بالأهرام فى عام ١٩٦٩ وقد حصر فيه مسئولية حـــريق القاهرة فى المخابرات البريطانية والقصر الملكى .

وفى عام ١٩٧٣ نشر أوراق حسن باشا نشأت تحت عنوان « صفحات مجهولة من التاريخ المصرى أو سنوات الصراع العنيف بين عباس وفؤاد » وقد تعرض فيه للدور الذى لعبه الملك فؤاد لمنع الخديو عباس من العودة الى مصر .

وفى عام ١٩٨٤ نشر الدكتور محمد أنيس مجموعة محاضراته التى كان قد القاها على طلاب المعهد العالى للدراسات الاشتراكية فى عام ١٩٦٥ فى كتاب تحت عنوان « تطور المجتمع المصرى من الاقطـــاع الى ثـــورة ٢٣ يوليـــو » .

هذا عما كتبه الدكتور أنيس فى تاريخ مصر المعاصر وأما فيما يخص التاريخ العثمانى فقد تعرض فى كتابه « الدولة العثمانية والمشرق العربى ١٥١٤ — ١٩١٤ » لمسئولية الدولة العثمانية عن تخلف العالم العربى ، وكان ممن يرون أن النظام العثمانى نظام اقطاعى ، وأن العثمانيين سيطروا على العالم العربى بقوة السلاح ، وانهم جنس غريب عن العرب ، ولـــم يفكروا قط فى العمل لمصلحة العرب .

كما كتب الدكتور أنيس دراسة بعنوان « مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى » (٥٣) تعرض فيه لكتابات المؤرخين المصريين خلال هذه الفترة ، وناقش محتويات هذه الكتابات والمدارس التى ينتمى اليها أصحابها والى جانب ذلك نجد ثلاث دراسات عن المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى الذى

---

(٥٣) قام معهد الدراسات العربية العالمية بنشر هذه الدراسة فى عام ١٩٦٢ .

عاصر اجزاء من تاريخ مصر العثمانية وهى « الجبرتى بين مظهر التقديس وعجائب الآثار » [٥٤] . و « حقائق جديدة عن عبد الرحمن الجبرتى مستمدة من وثائق المحكمة الشرعية » وقد اعتمد فيها على وثائق المحكمة الشرعية[٥٥] و « الجبرتى ومكانته فى مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى » [٥٦] وقد تعرض فيه لأهم مصادر تاريخ مصر العثمانية ، واسباب تدهور التاليف التاريخى فى العصر العثمانى وقد قسم المؤرخين فى هذه الفترة الى ثلاثة اقسام وهى :

مدرسة المؤرخين التقليديين ، ومدرسة التراجم ، ومدرسة الأجناد ، ثم بدأ يوضح مميزات الجبرتى على غيره من المؤرخين وكيف كتب مؤلفاته واهمية هذه المؤلفات فى ميزان التاريخ .

واما عن كتابات الدكتور انيس فى التاريخ الأوربى فقد الف كتابا بالاشتراك مع الدكتور سعيد عاشور تحت عنوان « النهضات الأوربية فى أواخر العصور الوسطى » .

والف كتابا بالاشتراك مع الدكتور محمد فؤاد شكرى تحت عنوان « أوربا فى العصور الحديثة من النهضة الايطالية حتى الثورة الفرنسية » .

كما نشر محاضراته عن « تاريخ أوربا بين الحربين العالميتين » فى عام ١٩٧٨ .

وفى تناول الدكتور انيس للتاريخ الأوربى ركز على أثر التاريخ الاقتصادى فى انتقال أوربا الى العصور الحديثة ، واثر الطبقة البرجوازية فى انشاء المدن .

وفى مجال دراسة الوثائق شارك الدكتور انيس فى كتاب تحت عنوان وثائق ونصوص فى التاريخ الحديث والمعاصر .

---

(٥٤) نشرت هذه الدراسة فى مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد ١٨ ج ١ مايو ١٩٥٦ .

(٥٥) نشر بالمجلة التاريخية المصرية فى عام ١٩٦٢ .

(٥٦) انظر عبد الرحمن الجبرتى دراسات وبحوث ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ص ٩٥ — ١٢٠ .

وقد اختار الفترة المعاصرة التى تبدأ باعلان الحماية حتى مشروع تمويل السد العالى فى عام ١٩٥٨ وذلك بغرض توعية الطلاب بقضايا بلادهم (٥٧) .

ومن يتصفح هذه المؤلفات بعناية يتبين له أن الدكتور أنيس لم يركز اهتمامه فى مؤلفاته على الأحداث السياسية والوقائع الحربية التى كان ينصرف اليها أغلب اهتمامات مؤرخى عصره بل اهتم بابراز الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعقلية وغيرها من مظاهر الحياة الانسانية ، فكان حكمه على الأحداث شاملا ومتزنا ، وكانت طريقته فى هذا المجال نبراسا يحتذى به ، هذا الى جانب الابتعاد عن السرد التاريخى والاهتمام بالجانب التحليلى ، والكشف عن كل ما هو جديد من الوثائق ونقدها .

ومن المعروف أن آراء الدكتور أنيس لم تقتصر على كتبه فحسب بل هناك مقالاته العديدة فى الصحف والمجلات وهى تحمل اشعاعات فكره ، ولو أنها جمعت لشكلت تراثا هاما . وفى الحقيقة انه فكر خلال أيامه الأخيرة فى تجميع هذه المقالات فى كتاب كبير حتى لا يطويها النسيان وكان قد كلف كاتب هذه الدراسة بمهمة القيام بتجميع هذه المقالات وتصنيفها الى قسمين : المقالات التاريخية والمقالات الثقافية وقد قمت بتجميع بعضها فعلا ، ولكن اعارتى المفاجئة الى المملكة السعودية ، ثم وفاته المفاجئة أيضا قد حالتا دون اتمام هذا المشروع والأمل يحدونا للقيام بهذه المهمة مع بعض تلاميذه فى القريب العاجل ان شاء الله .

ولم يقتصر دور محمد أنيس على تدريس التاريخ داخل أسوار الجامعة بل لقد جعل منه قضية عامة وجماهيرية يشارك فيها كافة أبناء الشعب فنشر مقالاته التاريخية فى الصحف عن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ وحريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢ وقد لاقت هذه المقالات اقبالا شعبيا منقطع النظير

وكان الدكتور أنيس ينشر مقالاته التاريخية والسياسية فى جريدة

---

(٥٧) عاصم دسوقى : محمد أنيس ودوره فى تعقيل دراسة التاريخ بالجامعة المصرية ، المجلة التاريخية ١٩٧٤ ص ٣ — ١٣ .

الجمهورية ، كما شارك بجهوده فى مجلة الكاتب التى كانت تصدرها وزارة الثقافة .

ولم تقتصر جهود الدكتور انيس العلمية على ذلك بل كانت له اليد الطولى فى انشاء مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر بهدف المحافظة على الوثائق ، ونشر الأبحاث الرصينة فى تاريخ مصر المعاصر ، وتصدى بموضوعية الباحث الوطنى لمحاولات نهب الوثائق المصرية .

كما رأس مركز الدراسات التاريخية بالأهرام وقسم الأبحاث بجريدة الجمهورية ، والى جانب ذلك انضم الى الهيئة العليا لحزب الوفد بعد اعادة تكوينه فى السبعينات .

هذا عن نشاط الدكتور أنيس داخل مصر ، أما خارجها فقد عمل أستاذا بجامعات الجزائر والعراق ، واليمن الشمالية ، كما عمل مستشارا ثقافيا لامارة أبو ظبى وخلال ذلك قدم آثارا واضحة للعيان سواء بالاسهام فى انشاء قسم من أقسام التاريخ أو اصدار مجلة علمية أو كتابة بعض المقالات التاريخية فى الصحف .

ومما سبق يتضح أن التاريخ عند الدكتور أنيس لا يعدو أن يكون محاولة للاجابة عن بعض المشكلات التى تواجه مصر ، لذلك كانت طريقته فى المعالجة هى تحديد المشكلة ثم محاولة ايجاد الحلول لها بطريقة تتميز بالأصالة والعمق .

ان مشكلة الدكتور أنيس أنه عاش فى عصر شديد التعقيد ملىء بالتحديات ، عصر تفشت فيه الأنانية ، وانعدم فيه الوفاء والاخلاص فمع أنه أحب ثورة ٢٣ يوليو تعذب بسبب أخطائها ، ومع أنه احترم افكار قادتها لم يسترح الى كثير ممن نسبوا انفسهم اليها . ومع أنه تعرض للكثير من العنت وسوء الفهم حتى من جانب بعض المقربين اليه فانه كان يتميز بالسماحة وصفاء القلب ، وكان رده على هؤلاء هو الابتسامة وفتح ابواب الحوار لازالة اى خلافات دون مجاملة فى الحق أو فى موقف يعتقده .

لقد صوره أعداؤه وبعض من لا يعرفونه جيدا كرجل مشاكس يميل الى اختلاق المشاكل ، ولكن الواقع انه كان صاحب شخصية متميزة لها طابعها الخاص ، وصاحب ارادة قوية لا تتبدل ولا تتغير باختلاف الظروف والأحوال ، كما أنه كان صاحب نفس كبيرة ، ووطنية متألقة دافقة ، وحب بارز لتاريخ مصر وخاصة الحديث منه والمعاصر .

لقد ترك الدكتور أنيس فراغا كبيرا فى قلوب تلاميذه وأصدقائه ومقدرى علمه ، كما ترك فراغا كبيرا فى ميدان الدراسات التاريخية والبحث العلمى ، وانه ليعز علينا أن يختفى هذا الكوكب اللامع الذى لم تهادنه الأيام بصروفها ونوائبها ، ومع ذلك ظل منافحا عن الحق فى شدة ، مجاملا فى عزة ، ودودا فى رقة ، وتثير احاديثه العجب والاعجاب والدهشة والتساؤل . فكان بذلك من الأفذاذ الذين شقوا طريقهم بفكرهم والى جانب ذلك كان قلمه فى يده « كالمبضع فى يد الجراح الماهر لا يشق الا بتقدير ولا يقطع الا بقدر » وانني اغبط نفسى اذ عاصرته وتلمذت عليه .

لقد عاش الدكتور أنيس معتزا بنفسه لا يتقن فن التملق والزلفى أو المداهنة ، يعرف قدر نفسه جيدا ، وهذه كلها صفات أهلته لأن يعيش فقيرا وأن يموت فقيرا .

وفى النهاية يمكن القول انه بفضل هؤلاء الرواد وغيرهم شقت المدرسة التاريخية المصرية طريقها بخطوات متقدمة الى درجة لم يعد تاريخنا حكرا على دراسات المستشرقين بل أخذنا منهم وأعطيناهم ، وشاركناهم ونافسناهم فى الدراسات التاريخية الجادة لدرجة أن الباحث الأوربى أو الأمريكى الذى يكتب عن تاريخ مصر أصبح لا يمكنه الاستغناء عن الرجوع الى كتابات المؤرخين والباحثين المصريين حول موضوع بحثه .

وهذا يعنى أن تطور الدراسات التاريخية فى مصر واتباع المنهج العلمى ، والسير على قواعده قد أصبح أمرا واقعا ، ومعلما رئيسيا لا يستطيع أحد أن ينكره أو يتجاهله كما يعنى أن أساتذة وباحثى المدرسة التاريخية المصرية أوجدوا كما ضخما من الدراسات الموضوعية الجادة التى شملت تاريخ مصر بكافة جوانبه .